رسالہ

تحفۂ بغداد

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستم مؤمنا وما كان الله

ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله

من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا

وتتقوا فلكم أجر عظيم

سنة ۱۳۱۱ هجريه

في شهر المحرم الحرام

طبع في مطبع پنجاب پريس سيالكوٹ

باهتمام المنشي غلام قادر الفصيح

مالك المطبع

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإني رأيت في هذه الأيام اشتهارا ومكتوبًا أَرسل إليَّ السيدُ عبد الرازق القادري البغدادي من حيدرآباد دكن. فلما قرأت الاشتهار إذا هو من أخ مؤمن يخوّفني كما يخوّف الملِكُ المقتدرُ المرتدَّ الكافرَ الفجّارَ، ويسُلُّ لقتلي السيف البتّار، وقد صال عليَّ كرجل يهجم على رجل، فزفر زفرة القيظ، وكاد يتميّز من الغيظ، ونظر إليَّ كالمحملقين.

ورأيت أنه ما مسَّ وسائل العرفان، وما دنا أواصر تحقيق البيان، وكفّرني وسبّني، وحسبني من الذين كفروا أو ارتدوا، فأراد أن يكون أوّلَ اللاعنين والقاتلين. وإنه قد فتن قلوب بعض الناس، وأدناهم من شر الوسواس، فسنح لي أن أكتب في هذه الرسالة ما ينفعه وينفع عرب الحرَمَين ويسرّ الناظرين. فالآن نكتب أولاً اشتهاره ومكتوبه، ثم نكتب جوابه ونهذّب أسلوبه.

فأيها القارئ! انظُرْ فيه بنظر الوداد، زادك الله في الصلاح والسداد، وهُنّيتَ بما أُوتيتَ، ومُلّيتَ بما أُولِيتَ، وما توفيقي إلا بالله النصير المعين.

الاشتهار من السيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وحزبه، وبعد:

فمما لا يخفى على أساطين الدين المتين، وعلماء أئمة المسلمين، ما ظهر ظهور الشمس، وما بان بيان الأمس، من خرافات وكفريات المرزا غلام أحمد القادياني البنجابي، وما ادّعاه من أنه المسيح بن مريم، وأنه يُلقَى إليه الإلهامات من حضرة الحق ﷻ، ويُوحِي إليه ويُكلّمه كفاحًا ويُخاطبه شفاهًا، وأن الله أرسله لكسر الصليب وقتل الخنزير وإقامة الحدود الشرعية، والله تعالى يُخاطبه ويُناجيه بقوله: يا عيسى بن مريم إني أرسلتك للناس كافّةً فاصدَعْ بما تؤمر وأعرِضْ عن الجاهلين، وأن بيعته حق، وأن عيسى عليه السلام توفّاه الله وليس بحيّ، وأنه هو عيسى بذاته، وغير ذلك مما ترتجّ منه الأضالع، وتستكّ منه المسامع، كما رأيته مسطورا في كتابه المسمى **بمرآة كمالات الإسلام**، الذي عارض به القرآنَ، وهتَك به شريعة سيّدِ وُلْدِ عدنان، علاوة على ما ذكره في كتبه السابقة، من أساطيره الكاذبة. وهذا مما لا يطيق الصبر عليه إلا مَن طمس الله بصره وطبع على بصيرته.

والعجب العجاب أن في ديار الهند عامّةً، وفي رياسة حيدر آباد خاصّة، مِن فحول العلماء وأشبال الفضلاء ما يضيق عن كثرتهم نطاق

الحصر، هذا مع كونهم علموا واطّلعوا على شقاشق ذلك الدّجال المضلّ الضالّ البطّال، الذي لا يُطهّره في الدنيا إلا السيف البتّار، ولا في الآخرة إلا النّار، فلم أر مَن شمّر عن ساعدِ جِدِّه، وأَرْوى في مجال ميدان الحق فِرَنْدَه، وكفَحه بصارمِ همّته وبيانه، وطعَنه بسنان قلمه وتبيانه، وردَّ أقواله، وأوقفَه على شؤم أفعاله، وأنقذ عباد الله المؤمنين من شر فتنته، ونصر دين رسول الله ﷺ وشريعته. فوا أسفاه! ووا أسفاه! ثم وا أسفاه، على أهل همّة البطون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وحيث إني اطلعت على كل صفحات كتاب ذلك الضال، الممسوخ الدجّال، وما هتَك به شريعة سيّد الأنام، وما تعدّى بالازدراء على سيدنا عيسى عليه السلام، ووقفتُ على تمام عباراته التي لا يتفوّه بها إلا كل مخذول، أو زنديقًا شاكًّا في رسالة الرسول، مع تناقُض أقواله عن بعضها بعض، التزمت، وبالله أستعين، إذ هو الناصر والمعين، أن أرُدّ كتابه حرفًا بحرفٍ، وصفًّا بصفٍّ، بكتاب أسمّيه "كشف الضلال والظلام عن مرآة كمالات الإسلام"، ردًّا يسرّ إن شاء الله نظر الناظر، ويشرح بفضل الله القلب والخاطر.

ثم عزمت أن أرسل كتاب المردود عليه إلى العراق وبغداد، ليحكمون* العلماء الأعلام على مُصنَّفه كونَه من أهل الزيغ والإلحاد، فأكون إن شاء الله السبب الأقوى لحسم مادّة هذا الفساد، وجلاء تلك

* *هكذا في اشتهار البغدادي. (الناشر)*

الغُمّة المدلهمّة عن سائر العباد، خدمةً مني للشريعة الأحمدية، وغيرةً على ناموس الْمِلّة المحمدية. وأؤمّل، والأمل بالله قوي، أن يكون إكمال هذا الردّ على المردود بظرف ثلاثة أشهر، فوجب أوّلاً شهرُ الحال بوجه الاشتهار لكافّة مَن وقف عليه، أن يعلموا علمًا يقينًا لا مِرية فيه مِن أن هذا الممسوخ وأمثاله يُطلَق عليهم قول النبي ﷺ دجّالون كذّابون يأتونكم بالأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم. هذا والله الهادي إلى سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل فقط.

المشتهر السيد عبد الرزاق القادري النقشبندي الرفاعي البغدادي، وارد حال بلدة حيدر آباد.

مكتوب السّيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصّلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. الوصيّة لي ولإخواني بتقوى الله من العبد المفتقر إلى رحمة الملِك الحنّان، المدعو بالسيد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، أناله الله شفاعة نبيه الهادي، وحفِظه من كيد الشياطين والأعادي، إلى خدمة الأجلّ والمطاع المبجّل العالم الفاضل، والمجتهد الكامل، حلاّلُ رموز المشكلات بألطف المعاني، وأظرف الترصيف والمباني، المولوي مرزا غلام أحمد القادياني، حفظه الله من زلة القدم، وعثرة اللسان والقلم، بحُرمة النبي الأكرم ﷺ، آمين.

أما بعد.. فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا يخفى أنه قد اطلعتُ على كتابكم المسمى بمرآة كمالات الإسلام، وعلِمت بما فيه، وأحطت فهمًا بمعانيه وفحاويه، ونكاته ومبانيه، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ولو لم تقسمون* على من اطّلع على ذلك الكتاب بأن يردّ خطأه، ويوضِّح لفظه، لما صرفنا عِنان القلم إلى ردّه. وقد جرت سُنّة أهل العلم من قديم الزمان وحادثه في الردّ على الباطل، وبالتزييف على العاطل. ولعل ورَدكم الاشتهار في هذا الباب، فلا تكونوا بالوجل، وارفعوا عنكم نقاب الخجل. فلعل أن لا يتيسر طبع

---

* *هكذا في مكتوب البغدادي. (الناشر)*

كتابنا لقرب سفرنا إلى الوطن، لكن أرجو أن تتحفوني بنسخة من مرآتكم، فإن النسخة التي هي عندي عارية، بشرط أن تُسرعون* بإرسالها في البريد، والسلام خير الختام.

ملتمسه السيّد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، غفر الله له

مؤرخة ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٠ هـ.

* *هكذا في مكتوب البغدادي. (الناشر)*

جواب الاشتهار والمكتوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على رسوله محمد سيّد النبيّين وخاتم المرسلين، وفخر الأولين والآخرين، ومنبع كل فهم وحزم ونور وهدى وسراج منير للسالكين المتّبعين، وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدّين، وعلى كل من تبعه من الأولياء والشهداء والصلحاء أجمعين.

السّلام عليكم، أيها الصلحاء المعزَّرون الموقَّرون المعظَّمون، مِن إخوانكم المحقَّرين المكفَّرين المطرودين المهجورين.

وبعد.. فإنه قد بلغني مكتوبك واشتهارك يا أخي بقريتي "قاديان"، فأشكرك وأدعو لك، فإنك ذكّرتني وذاكرتني سبُلاً تحسبها مستقيمة، ولُمْتَني غيرةً على دين الله ورسوله كالمغضبين، فجزاك الله أحسن الجزاء، وأحسن إليك وهو خير المحسنين. وأرى أنّك رجل صالح طيّب، فإنك ما صبرت على ما حاك في صدرك، ولم تألُ نُصحًا ولم تداهن قولا، وكذلك سِيَرُ الصالحين.

ولكن.. أيها الخِلُّ الودود، والحِبُّ المودود! عفا الله عنك، قد استعجلتَ وحسبت أخاك المؤمن بالله ورسوله وكتابه مرتدًّا ومن الكافرين. ولوّمتني ورمَيتني بالسِّهام قبل أن تُفتِّش حقيقة الأمر وتفهم سرّ الكلام، أو تستفسر مني كدأب المحققين. والعجب منك.. ومن

مثلك رجل صالح، تقيّ نقيّ، حليم كريم.. أنك تكتب في اشتهارك أن جزاء هذا الرجل المرتد أن يُقتَل بالسّيف البتّار، أو يُلقى في النار، كما هو جزاء المرتدين.

أيها الأخ الصالح! أسرّك الله ورعاك، وحفظك وحماك، وفتح عينك وهداك، لا تخوّفني من سيفٍ بتّارٍ ولا رُمح ولا نار، وقد قُتلنا قبل سيفك بسيفٍ لا تعلمه، وذُقنا طعم نارٍ لا تعرفها، وإنّا إن شاء الله بعد ذلك من المنعمين.

أيها العزيز! إن الذين أخلصوا قلوبهم لله، وأسلموا وجوههم لله، وشربوا كأسًا من حُبّ الله، فلا يضيّعهم الله ربّهم، ولا يتركهم مولاهم، ولو عاداهم كلّ ورق الأشجار، وكل قطرة البحارِ، وكل ذرة الأحجار، وكلّ ما في العالمين. بل الذين يطيعونه ولا يبتغون إلا مرضاته، هم قوم لا يحزنهم إلا فراقه، وإذا وجدوا ما ابتغوا فلا يبقى لهم همٌّ ولا غمٌّ بعد ذلك ولو قُتلوا وأُحرقوا، ولا يضرّهم سبٌّ قوم ولا لعنُ فرقة، ويجعل الله كلَّ لعنةٍ بركةً عليهم، وكلَّ سبٍّ رحمةً في حقهم. ألا يعلم ربنا ما في صدورنا؟ أأنت أعلم منه؟ فلا تكن من المستعجلين.

يا أخِي! ما تركتُ السبيل، وما عاصيتُ الرب الجليل، وليس كتابنا إلا الفرقان الكريم، وليس نبيّنا ومحبوبنا إلا المصطفى الرحيم، ولعنة الله على الذين يخرجون عن دينه مثقال ذرّة، فهم يدخلون جهنم ملعونين. ولكن يا أخي.. إن في كتاب الله نِكاتًا ومعارف لا يزاحمها عقيدة ولا

يناقضها حكمٌ، ولا يُلقّاها من الأمم إلا الذي وجد وقت ظهورها، وكان من المنقطعين المبعوثين. ولله أسرارٌ وأسرارٌ وراء أسرارٍ لا تطلَع نجومها إلا في وقتها، فلا تجادل الله في أسراره. أتجترئ على ربك وتقول لما فعلت كذا ولم ما فعلت كذا؟

يا أخِي! فوِّضْ غيب الله إلى الله ولا تدخل في غيوبه، ولا تزخّ دقائق المعارف التي دقّ مأخذها في ظواهر الشرع، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، وثبِّتْ نفسك على سبيل المتقين. ما كان إيمان الأخيار من الصحابة والتابعين بنُزول المسيح عليه السلام إلا إجماليا، وكانوا يؤمنون بالنُزول مجملا، ويفوّضون تفاصيلها إلى الله خالق السماوات والأرضين. وكيف يجوز نزول المسيح عليه السلام على المعنى الحقيقي، والله قد أخبر في كتابه العزيز أنه تُوفِّي ومات؟

وقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ✪

وقال: ﴿فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ○

وقال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ ❋

وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ ✸

✪ آل عمران: ٥٦ ○ المائدة: ١١٨ ❋ الزمر: ٤٣ ✸ الأنبياء: ٩٦

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ❖

يعني ماتوا كلهم كما استدل به الصِّدّيق الأكبر عند وفاة النبي ﷺ، فما بقي شك بعد ذلك في وفاة المسيح وامتناع رجوعه إن كنتم بالله وآياته مؤمنين. وقد ختم الله برسولنا النبيين، وقد انقطع وحي النبوة، فكيف يجيء المسيح ولا نبي بعد رسولنا؟ أيجيء معطَّلا من النبوة كالمعزولين؟ وقد بشّرنا رسول الله ﷺ أن المسيح الآتي يظهر من أمته وهو أحدٌ من المسلمين. وفي الصحاح أحاديث صحيحة مرفوعة متصلة شاهدة على وفاة عيسى عليه السلام، خصوصًا في البخاري بيان مصرح في هذا الأمر. فالعجب كل العجب على فهم رجل يشكّ في وفاته بعد كتاب الله ورسوله ويتذبذب كالمرتابين. وبأيِّ حديث بعد الله وآياته نترك متواترات القرآن؟ أنُؤْثِر الشكّ على اليقين؟

والقوم لا يتفق على صعود المسيح حيًّا إلى السماء، بل لهم آراءٌ شتّى، بعضهم يقول بالوفاة وبعضهم بالحياة. ولن تجد من النصوص الفرقانية والأحاديث النبوية دليلا على حياته، بل تسمع من الأخبار والآثار ومن كل جهة نعيَ الموت. وقد تُوفّي رسولنا ﷺ، أهو خيرٌ منه، أم هو ليس من الفانين؟ ورآه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج في الموتى من الأنبياء عليهم السلام، أفتظن أن رسول الله ﷺ أخطأ في رؤيته، أو قال ما يُخالف الحق؟ حاشا.. بل إنه أصدق الصادقين.

❖ *آل عمران:١٤٥*

فهذا هو السبب الذي ألجأنا إلى اعتراف وفاة المسيح، وشهد عليه إلهامي المتواتر المتتابع من الله تعالى. وما نرى في هذه العقيدة مخالفة بقول رسول الله ﷺ ولا بعقيدة الصحابة ولا التابعين. والصحابة كلهم كانوا يؤمنون بوفاة المسيح، وكذلك الذين جاؤوا بعدهم من عباد الله المتبصّرين. ألا تنظر صحيح البخاري كيف فسّر فيه عبد الله بن عباس رضي الله عنه آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ•﴾، فقال: متوفّيك: مميتُك. وأشار الإمام البخاري إلى صحّة هذا القول بإيراده آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في غير محلّه، وهذه عادة البخاري عند الاجتهاد وإظهار مذهبه كما لا يخفى على الماهرين.

أيها الأخ الصالح! انظُرْ كيف أشار البخاري - رحمه الله - إلى مذهبه بجمع الآيتين في غير المحلّ وإراءة تظاهُرهما. واعترف بأن المسيح قد مات، فتدبَّرْ فإن الله يحب المتدبّرين. وما كان لي منفعةٌ وراحةٌ في ترك كتاب الله وسُنن رسوله وحملِ أوزار خسران الدنيا والآخرة، وسماع لعن اللاعنين.

أيها الأخ الكريم! لَلحقُّ أحقُّ أن يُتّبع، والصدق حقيق بأن يُقبَل ويُستمَع، ويد الحق تصدع رداء الشك، والحق هو الجوهر الذي يظهر عند السبك، ويتلألأ في وقته الذي قدّر الله له، ولكل نبأٍ مستقرٌّ، ولكل نجمٍ مَطلعٌ، ولا تُعرف الأسرار إلا بعد وقوعها. فطوبى لمن فهم هذا السر

• *آل عمران: ٥٦*

وأدرك الأمر كالعاقلين. وإنّي أتيقّن أن مثلك.. مع كمال فضلك وتقواك.. لو كان مُطّلعًا على معارف اطّلعتُ عليها لكفَّ لسانه من لعني وطعني، ولَقَبِلَ ما قلتُ من معارف الملّة والدّين، ولكني أظنّك ما فهمتَ حقيقة مقالي، وما علمتَ صورة محالي، وما ظني فيك إلا الخير، وأسأل الله لك فضله ورحمته وهو أرحم الرّاحمين.

يا قُرّة أرضٍ مباركةٍ وسُلالةَ أهلها! أنت بحمد الله تقيّ ونقيّ وزكيّ، وإني أحبّك وأصافيك كالمخلصين. وأُوتيك موثقًا من الله على أني أُوافقك وأقبل قولك، إن تُرِني آياتِ الفرقان على صحة زعمك، وتأتِني بسُلطان مبين. وما أبتغي إلا الحق، وقد شققتُ عصا الشقاق، وارتضعتُ أفاويق الوفاق، فجادِلْني بالحكمة وآيات كتاب الله السبّاق، وستجدني إن شاء الله من المنصفين. وإن كنت أن• تشتهي أن تسبّني أو تلعنني أو تكذّبني أو تقتلني بسيف بتّار أو تلقيني في نارٍ، فاصنع ما شئت، وما أرُدّ عليك إلا دعاء الخير والعافية. يا أهل البيت.. يرحمكم الله في الدنيا والآخرة، وآواكم في المرحومين.

أيها الشيخ! دعِ النزاع، وما ينبغي النزاع، فاتّق الله وأدرِكْ فرصة لا تُضاع، وارتحلْ إليّ رحلة الصادق المعِدّ، وسِرْ نحوي سير المجِدّ، وتفضَّلْ وتجشَّمْ إلى بيتي، وكُلْ إلى شهرين من قرصي وزيتي، سيُريك الله حالاً لا ينكشف عن يد غيري من أهل البلدان وجَوّابتها، ولا من تأليفاتٍ

• *هكذا ورد في الأصل، والظاهر أن "أن" من خطأ النسخ، والله أعلم. (الناشر)*

محدودة البيان، فتعرفني بعين اليقين. وإن تقصدني مُخلِصًا فأدعو لك في آناء الليل وأطراف النهار، وأرجو أن يطمئن قلبك وأرى آثار الاستجابة، وتنجاب غشاوة الاسترابة، والله قدير ونصير ومُعين.

أيها الأخ الشريف الصالح! لا تنظُرْ إلى تكفير العلماء وتكذيبهم، فإني أعلم من الله ما لا يعلمون، وقد علمتُ حقيقة الأمر من ربّي وهم من الغافلين. ولا تنظر إلى ذلّتي وهواني، وحقارتي في أعين إخواني، فإن لي من الله تعالى في كل يوم نظرةً. أُقلَّبُ نحو الشمال ونحو اليمين، وأتقلّبُ في الحالَين بؤس ورَخاء، وأُنقَلُ مع الريحَين زعزع ورُخاء، والعاقبة خير لي إن شاء الله، وإني من المبشَّرين. اليوم يحقّرون ويكذّبون ويكفّرون، وأراهم عليَّ حريصين لو كانوا قادرين، وسيأتي زمان يظهر صدقي فيه ويُرِي اللهُ عبادَه آيات فضله عليَّ، فيجتلون أنوار عناياته ومطارف تفضّلاته، فيأتونني مُنكسرين. فطوبى لعين رأتني قبل وقتي، وطوبى لسعيد جاءني كالمخلصين.

أيها الشيخ! الوقت قد دنا، ومعظم العمر قد فنى، فأْتني على شريطة الصبر والتوقّف وقبول الهُدى، وعُدْ إلى الحق ودعِ العداء، ولا تنس حقك في العُقبى، ولا تُبارز المولى، وسارِعْ إليَّ مُرتدعًا، ليغفر لك الله ما سلف وما مضى، وطاوِعِ الحق وكن من المطاوعين.

وإن كنت لا تقدر على هذا السفر البعيد، فلك طريق أُخرى. فإن كنت فاعِلَها.. فأخرِجْ أوّلاً مِن صدرك كلَّ ما دخل فيه من سوء الظن،

ثم قُمْ وتوضّأْ وصلِّ ركعتين، وصلِّ وسلِّمْ واستغفرْ استغفار التائبين، ثم اضطجعْ مستقبلا على مُصلاك، وتَخَلَّ بمُناجاة مولاك، واسأل الله لاستكشاف حالي، وحقيقية مقالي، ثم نَمْ قائلاً: يا خبير أخبِرْني في أمر أحمد بن غُلام مرتضى القادياني، أهو مردودٌ عندك أو مقبول؟ أهو ملعون عندك أو مقرون؟ إنك تعلم ما في قلوب عبادك، ولا تُخطئ عينك، وأنت خير الشاهدين. ربنا آتنا من لدنك علمًا جاذبًا إلى الحق، ونظرًا حافظًا من نقل الخطوات إلى خطط الخطيّات، وأدخِلْنا في الموفَّقين. ما كان لنا أن نُقدّم بين يديك، أو نتصرّف في سرائر عبادك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وافتح عيوننا، ولا تجعلنا من الذين يُعادون أولياءك، أو يحبّون المفسدين. آمين ثم آمين.

واستخِرْ يا أخي من جمعة إلى جمعةٍ أُخرى، وعقِّبْ تهجُّدَك بهذه الركعتين، وأخبِرْني إذا أردت أن تشرع في هذا لأُرافقك في دُعائك، وأدعو لك في ابتغائك، وأرجو أن يسمع ربي ندائي، ويقبل دُعائي، إنه كان بي حفيًّا، وإنه نور عيني وقوة أعضائي، والله إني لمن المقبَّلين.

أيها العزيز! أراك فتىً صالحًا، فأرجو أن تقبل ما قُلتُ لك، وأرجو أن تُدركك رِقّةٌ على دين سيّدي وسيّدك وجدّك ﷺ، وتسلك مسلك العارفين.

تَذكَّرْ يا أخي يوم التنادي — وتُبْ قبل الرحيل إلى المعادِ
فأخرِجْ كلَّ حقدك مِن جَنانٍ — وزَكِّ النفس من سمّ العنادِ

وخَفْ قهر المهيمنِ عند ذنبٍ　وقِفْ ثم انتهِجْ سبل الرشادِ
وأُقسِم أنني يا ابن الكرامِ　لقد أُرْسلِتُ من رب العبادِ
وقد أُعطيتُ علمًا بعد علمٍ　وكأسًا بعد كأس مِن جوادي
وحِبِّي كل حين يجتبيني　ويُدنيني ويعطيني مرادي
فما أُشقَى بلعن اللاعنينا　وصدقي سوف يذكر في البلادِ
وكأسٍ قد شربنا في وِهادٍ　وأُخرى نشربَنْ فوق المصادِ
ولست أخاف من موتي وقتلي　إذا ما كان موتي في الجهادِ
وآثرْنا الحبيب على حياة　وقمنا للشهادة بالعتادِ
وما الخسران في موتٍ بتقوى　وخسرُ المرء في سبل الفسادِ
وإني قد خرجت إلى ذُكاءٍ　ففارت عينُ نورٍ من فؤادي
بحمد الله إن الحِبّ معنا　وما يرمي متاعي بالكسادِ
ويدنيني بحضرته بلطفٍ　ويسقيني مدام الاتّحادِ
وإنّ هداية الفرقان ديني　وأدعوكم إلى نهج السَّدادِ
فقُمْ إن شئت كالأحباب طوعًا　وإما شئت فاجلِسْ في الأعادي
وقد بارى العدو بعزمِ حربٍ　وبارزْنا، فيا قومي.. بدادِ
وكان نصيحة لله فرضي　فقد بلّغتُ فرضي بالودادِ

أيها الأخ العزيز! ما جئتُ كطارق ليل، أو غثاء سيل، إن جئتُ إلا في وقت الضرورة وعلى رأس المائة، وجعلني الله لهذه المائة مجدِّدًا لأجدّد

الدين، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة من يجدد دينها، فتحسَّسْ.. مَن مجدّد هذه المائة؟ وتفكَّرْ فإن الله يؤيّد المتفكّرين.

وقد جاء في أخبار أُخرى أن رسول الله ﷺ لما تُوفي صحت* الأرض فقالت: يا رب بقيت خالية إلى يوم القيامة من أقدام الأنبياء صلاة الله عليهم أجمعين. فأوحى الله تعالى إليها وقال: إني أخلق عليك أُناسًا قلوبهم كقلوب الأنبياء، منهم الأقطاب، ومنهم الأبدال، ومنهم الغوث، ومنهم دون ذلك، وكلٌ من المكلَّمين الملهَمين، ومنهم من يكون قلبه كقلب نوح وإبراهيم وموسى، ومنهم الذي كان قلبه كقلب عيسى، ويجيئون على أقدام النبيين.

فانظر، يا أخي، آثارَ رحمة الله كيف أكرم هذه الأمّة وجعلهم بأنبياء بني إسرائيل مُشابهين. وإن تعجَب فعجبٌ قول الذين يقولون: كيف جاء مثيل المسيح.. وإنْ هذه إلا كلمة الكفر؟ ولا ينظرون إلى ما قال الله ورسوله، ولا يتفكرون في الآيات والآثار ويعيشون كالنائمين.

يا أخي، انظر في البخاري وغيره من الصحاح، كيف بشّر نبيّنا ورسولنا ﷺ وقال: إنه سيكون في أمّته قوم يكلَّمون مِن غير أن يكونوا أنبياء ويُسمَّون محدَّثين. وقال الله جلّ شأنه ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ

---

* *يبدو أنه سهو والصحيح "صيّحت" أو "صاحت" بمعنى صوّتت ونادت أو ضجّت. (الناشر)*

الآخِرِينَ○﴾، وحثَّ عباده على دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ✪﴾، فما معنى الدعاء لو كُنّا من المحرومين؟ وأنت تعلم أن الذين أنعم الله عليهم أوّلاً هم الأنبياء والرسل، وما كان الإنعام مِن قسمِ درهم ودينار، بل من قسم علوم ومعارف، ونزول بركاتٍ وأنوار، كما تَقرّرَ عند العارفين.

وإِذا أُمرنا بهذه الدعاءِ في كل صلاة فما أَمَرَنا ربُّنا إلا ليُستجاب دعاؤنا، ونُعطَى ما أُعطيَ من الإنعامات للمرسلين. وقد بشّرنا – عز اسمه – بعطاء إنعاماتٍ أنعم على الأنبياء والرُّسُل من قبلنا وجعلنا لهم وارثين. فكيف نكفر بهذه الإنعامات ونكون كقوم عمين؟ وكيف يمكن أن يُخلِف الله مواعيده بعد توكيدها ويجعلنا من المخيَّبين؟

أنت تعلم يأ أخِي أن سراة الْمُنعَمين عليهم هم الأنبياء والرسل، وقد بشّرنا الله بعطاء هُداهم وبصيرتهم الكاملة التي لا تحصل إلا بعد مكالمة الله تعالى أو رؤية آياته. عفا الله عنك.. كيف زعمت أن أولياء الله محرومون من مُكالمة الله ومخاطباته وليسوا من المكلَّمين؟

يا أخي أنت تعلم أن كتب القوم مملوّة من ذكر مكالمات الله بأوليائه، ومخاطبات حضرة الحق بعباده المقرّبين، وهو الكريم الذي يُلقي الروح على من يشاء من عباده ويزيد من يشاء في الإيمان واليقين. أما قرأت في "فتوح الغيب" الذي لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه كيف

○ *الواقعة: ٤٠-٤١* ✪ *الفاتحة: ٦-٧*

ذكر حقيقة المكالمات؟ وقال: إن الله تعالى يكلّم أولياءه بكلام بليغ لذيذ، وينبئهم من أسرار، ويخبرهم من أخبار، ويعطيهم عِلم الأنبياء، ونور الأنبياء، وبصيرة الأنبياء، ومعجزات الأنبياء، ولكن وراثةً لا أصالة، ويجعلهم متصرّفين في الأرض والسماوات وفي جميع ملكوت الله. فانظُرْ إلى مراتبهم ولا تتعجب، فإن الله فيّاضٌ يعطي عباده ما يشاء وليس بضنين.

والله قصّ علينا قصص الملهَمين في كتابه العزيز، وأنبأنا أنه كلَّم أُمَّ موسى عليه السلام، وكلَّم ذا القرنين، وكلَّم الحواريّين. وما كان أحدٌ منهم نبيًّا ولا رسولاً، ولكن كانوا من عباده المحبوبين. أليس من أعجب العجائب أن يكلّم الله نساء بني إسرائيل ويعطي لهنّ عِزّةَ مكالماته وشرف مخاطباته، وما يعطي لرجال هذه الأمّة نصيبا منها وهي أمّة خير المرسلين؟ وقد سمّاها خير الأمم.. وختَم بها الأمم كلها، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾○، يعني فيها كثير من المكمّلات والمكمّلين.

وأنت ترى يا أخي.. عافاك الله في الدارين.. كيف اشتدت الحاجة في هذه الأيام إلى ظهور مجدّد يؤيّد الدين، ويقيم البراهين، ويرجم الشياطين. ألا ترى أن الضلالة قد غلبت، وغارات الكافرين عمّت وأحاطت، وكم من أمم تبّت وهلكت؟ ألا تنظر هذه المفاسد؟ ألست من المتألّمين على مصائب الإسلام؟ ألم تأتك أخبارها أو أنت من الغافلين؟ أما تكاثرت فتن الكفّار؟ أما جاء وقت ظهور الآثار؟ أما

○ *الواقعة: ٤١*

عمّت الفتن في البراري والبلاد والديار؟ أما جاء وقت رحمة أرحم الراحمين؟ أما عَنَّ لنا في زمننا هذا قِبَلُ الذياب، في ليلة فتيّة الشباب، غُدافيّة الإهاب، وصرنا كالمحصورين؟

أُنظُرْ يا أخي كيف أحاط بالناس ظلام وظلم ومظلمة، وخُوّفنا من كلّ طرف بأنواع النباح، وارتفعت الأصوات بالأرنان والنياح، وضُربت علينا المسكنة بالاكتساح، وصال الكُفار كالحَيْن المجتاح، وعفَتْ آثار التقوى والصلاح، وصُبَّت علينا مصائب لو صُبّت على الجبال لدكّتها وكسّرتها كالرداح، وامتلأت الأرض شِركًا وكذبا وزورًا ومن الأفعال القِباح، وتراءت صفوف الطالحين.

وكنت أبكي بكاء الماخض على ضعف الإسلام في تلك الأيام، وأرى مسالك الهُلْك، وأنظر إلى عون الله العلاّم، فإذا العناية تراءت وهبّتْ نسيم ألطاف الله القسّام، وبُشِّرتُ بأعلى مراتب الإلهام، وأصفى كأس المدام، كما تُبشَّرُ الحامل عند مخاضها بالغلام، فصرت من المسرورين. فأُمِرتُ أن أُفرِّق خيري على رِفقتي، وكان على الله ثقتي، فكفّروني ولعنوا وسبّوا وأَضْرَوا بي الخطوبَ وألّبوا، وأُوذيت من ألسنة القاطنين والمتغرّبين.

ورأيت أكثر العلماء أسارى في أيدي أنفسهم وأهوائهم، ورأيتهم كغلام عليه سملٌ، وفي مشيه قزلٌ، وفي آذانه وقرٌ، وعلى عينه غشاوة، وفي قلبه مرض، وهو كَلٌّ على مولاه، وليس فيه خير يسرّ المشترين.

يُظهرون على الإخوان شَباءةَ * اعتدائهم، وينسون صولة أعدائهم، وأرى قلوبهم مائلة إلى الصِّلات لا إلى الصَّلاة، ويستعجلون للاستهداء لا للاستهداء، ويُؤْثِرون ثوب الخيلاء على ثواب مواساة الأخلاّء، ويأبرون إخوانهم كالعقارب، ولو كانوا من الأقارب، لا يخافون رب الأرباب، ولا يتّقونه في أساليب الاكتساب، ويسعون إلى باب الأمراء، وينسون حضرة الكبرياء، ثم يكفِّرون إخوانهم ويحسبون أنهم من المحسنين.

والذين يؤثرون الله على نفوسهم وأعراضهم وأموالهم لا يضرّهم إكفار المكفرين ولا تكذيب المكذبين. أليس الله بكاف عبده؟ ومن يُصافي مثله بالمصافين؟ سبقت رحمته حسنات العاملين، ولا يضيع فضله سعي المجاهدين.

أيها الأخ المكرّم! ارفقْ فإن الرفق رأس الخيرات، ومن علامات الصالحين. وعليك أن تَعرِض عليّ شُبُهاتك لكي أعطيك ما فاتك، وستجدني إن شاء الله صديقًا صادقا ورفيق الطريق كالخادمين. وقد أعطاني الله من لدنه قوة فأَدرَأُ بها عن قلوب الناس شبهة، وفتح عليَّ أبواب تعليم الخلق وإتمام الحجّة وإراءة الحق، وإني من فضله لمن المؤيَّدين. ولكن الذين لا يبتغون الحق فهم لا يعرفونني، وقد رأوا آياتٍ من الله تعالى ثم هم من المنكرين. يصُولون ويسُبّون ويُحَمْلِقون وكادوا يتميَّزون من الغيظ، ولا يفكّرون كالمسترشدين. ووالله إني صادق ولست من

* *هكذا ورد في الأصل وربما هو سهو من الناسخ، والصحيح: شَبَاة، وهي إبرة العقرب وحدُّ كل شيء. (الناشر)*

المفترين. ووالله إني لست خاطِبَ الدنيا الدنيّة وجيفتِها، فيا حسرة على الظّانين ظنّ السوء، ويا حسرة على المسرفين!

إنما مثلي كمثل رجل آثَرَ حِبًّا على كل شيء، وتبتّلَ إليه وسعى في ميادين الاقتراب، واقتعد للقائه غارب الاغتراب، وترك تراب الوطن وصحبة الأتراب، وقصد مدينة حبيبه وذهب، وترَك لِحِبِّه البيتَ والفضة والذهب، وترَك النفس لمحبوبه حتى صار كالفانين. وبعزة الله وجلاله إني آثرت وجه ربّي على كل وجه، وبابه على كل باب، ورضاءه على كل رضاء. وبعزّته إنه معي في كل وقتي، وأنا معه في كل حين. وآثرت دولة الدين وهي تكفيني، ولو لم يكن حبّةٌ لتجهيزي وتكفيني. وإني منعم مع يد الإملاق، وفارغٌ من الأنفس والآفاق، وشغَفني ربي حُبًّا، وأُشرِبَ في قلبي وجهه، وأنا منه بمنزلة لا يعلمها أحد من العالمين.

أيها العزيز! كان بعض الأسرار في أوائل الزمان مستورًا، وكذلك كان قدرا مقدورًا، ثم في زماننا تبيّنَ القضاء، وبرِح الخفاء، وظهر خطأ العاسفين. وكذلك فعل ربنا ليقُمّ المتكبرين من علماء السوء وليُظهر قدرته على رغم أنف المتعصّبين. وإن مثل نزول المسيح كمثل نزول إيليا قد وعد الله لنزوله، ثم جاء يحيى مقامه، إنّ في ذلك لهُدًى للمتفكرين. وإن كنت لا تعلم فاسأل اليهود والنصارى، وقد تواترت هذه القصة عندهم وما اختلف فيها اثنان، ففتِّشْ ولا تكن من المتقاعسين.

أيها الأخ العزيز! إن قصة إيليا من المتواترات القطعية اليقينية في أهل الكتاب، وكشف الله تلك الحقيقة على أنبيائهم، فبهداهم اقْتَدِهْ ولا تكن

من المبدعين. ثم اعلم أننا قد اعتصمنا وتمسّكنا بمثال قد انجلى من قبل، ولا مثال لكم، فأي فريق أحقّ بالأمن؟ فلا تجترئوا على المحدَثات واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون سنن الله إن كنتم من الطالبين. وإنّا أريناكم سنّة الله في الذين خلوا من قبلكم، وما بيَّنتم مِن سنّة على دعواكم، ولن تجدوا لسُنن الله تبديلا، فلا تُخالفوا كالمجترئين.

وأنتم تعلمون أن الله قد ردّ على أقوالكم في كتابه، وذكر موت المسيح بلفظ التوفّي كما ذكر موتَ نبيّنا بذلك اللفظ، فأنتم تؤوّلون ذلك اللفظ في المسيح، وأما في سيدنا فلا تؤوّلونه، فتلك إذًا قسمة ضيزى وخيانة في دين الله، ولكنكم لا تتّقونه، ولا تجيبون تدبّرًا بل تذرِقون كطائر في وقت طيرانه ولا تنزلون لتصفيةٍ، ولا تخافون حَبْضَ قياس الصادقين. وإن كنتم على حق مبين فلم لا تأتونني بآية شاهدة على حياة المسيح ونزوله وعلى سُنّةٍ خلت من قبل؟ وكيف نقبل بِدْعاتكم التي تُخالف كتاب الله وسُنن رسوله وسُنن الصادقين الذين خلوا من قبل؟ أنقبل قولكم ونذَر قول أصدق المعلمين؟

فأيها الشيخ الصالح! لا تكذّبوا آيات الله، ولا تغمِطوا نِعَمَه بعد نزولها، ولا تزدهوا المأمورين. وإن الذين يُنوَّرون من نور ربهم لا يخافون أحدًا إلا الله، فلا تُسمِّ أحدًا منهم وجِلاً ولا خجِلاً، ولا تبارز الله ولا تجترئْ على رب السماوات والأرض، ولا تقفُ ظنونًا لا تعلم حقيتها، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، فيظهر الحق وتكون من المتندّمين. إنْ أَكُ كاذبا فعليَّ وبال كذبي، وإن أكُ صادقا فالله يعينني وينصرني ويُرِي

الخَلْق صدقي ونوري، والله لا يضيع عباده الصادقين.

وقد كُفِّر مثلي كثير من الأولياء والأقطاب والأئمة، فبعضهم صُلبوا وقتلوا، وبعضهم أُخرجوا من أوطانهم وديارهم وأُوذوا، حتى جاءهم نصر الله، فما أُضيعوا وما خُيِّبوا، وزادهم الله بركةً وعزّة وجعل كثيرا من أفئدةٍ تهوي إليهم، وبلّغ آثار بركاتهم إلى قرن آخرين، وكذلك بشَّرني ربّي وقال: "إني سأُوتيكَ* بَرَكَةً وأُجلِّي أَنوارَها حتى يتبرَّكَ بثيابك الملوكُ

* **حاشية**: من كان يؤمن بالله وآياته، فقد وجب عليه أن يؤمن بأن الله يوحي إلى من يشاء من عباده، رسولاً كان أو غير رسول، ويكلّم من يشاء، نبيًّا كان أو من المحدَّثين. ألا ترى أن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه كلَّم أُمَّ موسى وقال: ﴿لا تَخَافي ولا تَحْزَني إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسَلينَ﴾[1]. وكذلك أوحى إلى الحواريين وكلّم ذا القرنين وأخبَرنا به في كتابه، ثم بشّر لنا وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّن الآخِرِينَ﴾.[2] وفي هذه الآية أشار إلى أن هذه الأمّة تُكلَّم كما كُلِّمت الأمم من قبل، فمن كان له صدق رغبة في الاتّعاظ بالقرآن فلا يتردد بعد بيان كتاب الله ولا يكون من المرتابين. ومن لم يبال امتثالَ أوامره وانتهاء نواهيه فما آمن به وما كان من المؤمنين.

وقد اتفق الأولياء كلّهم على أن لله تعالى مخاطباتٍ ومكالماتٍ بالمحدَّثين، كما قال سيدي وحبيبي الشيخ عبد القادر الجيلاني - رضي الله عنه - في كتابه "الفتوح" تعليما للسالكين. ومن ملخصات كلامه أنه قال: إن لأهل الله علاماتٍ يُعرَفون بها، فمنها الخوارق والكشوف، ومكالمات الله تعالى، وخوف الله وخشيته، وإيثاره على غيره، وكل ما يجب للمتقين.

وقال: إذا مِتَّ عن الخَلْق قيل لك: رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومُناك، وإذا مِتَّ عن الإرادة ومُناك قيل لك: رحمك الله وأحياك، فكنت من المرحومين. فحينئذ تُحيى حياة لا موت بعدها، وتُغنَى غناءً لا فقر بعده، وتُعطَى عطاءً لا منع بعده، وتُراحُ براحةٍ لا شقاء بعدها، وتنعم بنعيم لا بؤس بعده، وتُعلَّم علمًا لا جهل بعده، وتُؤَمَّن أمنًا لا تخاف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتُعَزّ فلا تُذلّ، وتُقرَّب فلا تُبعَد، وتُرفَع فلا

تُوضَع، وتُعظَّم فلا تُحقَّر، وتُطهَّر فلا تُدنَّس، ونجّاك الله وطهّرك من أدناس طرق الفاسقين.

فيتحقق فيك الأماني، وتصدُق فيك الأقاويل، فتكون كِبْريتًا أحمرَ فلا تكاد تُرى، وعزيزًا فلا تُماثَل، وفريدًا فلا تُشارَك، ووحيدًا فلا تُجانَس، وتكون عند ربك من أهل السماء لا من أهل الأرضين. فردُ الفردِ، وترُ الوتر، غيب الغيب، سرّ السرّ، فحينئذٍ تكون وارثَ كل رسول ونبيّ وصِدّيق، فتُعطَى كلَّ ما أُعْطُوا من الأنوار والأسرار، والبركات والمخاطبات، والوحي والمكالمات، وغيرها من آيات رب العالمين. وبِكَ تُختَم الولاية، وإليك تصدُر الأبدال، وبك تنكشف الكروب، وبك تُسقَى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك تُدفَع البلايا والمحن من الخاص والعام وأهل الثغور، والراعي والرعايا، والأئمة والأُمّة، وسائر البرايا، فتكون شِحْنةَ البلاد والعباد ومن المأمورين. فينطلق إليك الأرجلُ بالسعي والترحال، والأيدي بالبذل والعطاء والخدمة بإذن خالقِ الأشياء في سائر الأحوال، والألسنُ بالذكر الطيّب والحمد والثناء في جميع المحالّ، ولا يختلف إليك اثنان من أهل الإيمان، وتهوي إليك أفئدة من العُلماء والأُمّيّين، ويدعوك لسانُ الأزل، ويُعلّمك ربُّ الملك، ويكسوك أنوارًا منه والحُلل، ويُنزِلك منازلَ مَن سلَف من أولي العلم الأُوَل، من الأنبياء والصدّيقين.

فحينئذٍ يُضاف إليك التكوين وخرق العادات، فيُرى ذلك منك في ظاهر العقل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقًّا في العلم، فتدخل حينئذٍ في قومٍ مُوجَعٍ، وفي زمرة المنكسرين الذين انكسرت قلوبهم، وكُسرت إراداتهم البشرية، وأُزيلت شهواتهم الطبيعية، فاستُؤنفتْ لهم إرادة ربّانية، وشهوات وظيفية، وكانوا من المبدَّلين. ويُكشَف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول، ويخرِق العادات والرسوم، ويكلّمهم الله تعالى بالكلام اللذيذ، والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجِسام، والمنازل العالية، والقُرب منه مما سيؤول أمرُهم إليه وجفَّ به القلمُ من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة وإثباتًا منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل، وهو الوقت المقدَّر لهم من أرحم الراحمين.

وقال الله تعالى في بعض كتبه: يا بن آدم أنا الله لا إله إلا أنا. أقول لشيء: كُن، فيكون. أَطِعْني أجعَلْك تقول للشيء: كُنْ، فيكون. قد جعل الله أولياءه أوتادَ الأرض، وجعل الدنيا لهم جنّةَ المأوى، فلهم جنّتان: الدنيا والآخرة. وهم كالجبل

الذي رسا، تفرّدوا في الصدق والوفاء والتقوى، فتَنَحَّ عن طريقهم ولا تُزاحِمْ يا مسكين. الرجال الذين ما قيّدهم أحد عن قصد الحق من الآباء والأمهات والبنات والبنين، فهم خيرُ مَن خلَق ربّي وبثَّ في الأرض وذرَأ، فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته أجمعين.

أيها السالك! إذا قوِي علمك ويقينك، وشرح صدرك وقوي نور قلبك، وزاد قربُك من مولاك، ومكانُك لديه، وأمانتُك عنده وأهليّتُك لحفظ الأسرار، فعُلِّمتَ من لدنه، ويأتيك قِسْمُك قبل حين. وتلك كرامةٌ لك وإجلالٌ لحرمتك، فضلاً منه ومنّةً وموهبةً، ثم يَرِدُ عليك التكوين، فتُكَوَّن بالإذن الصريح الذي لا غُبار عليه، والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامٍ لذيذ ألذّ من كل لذيذٍ، وإلهامٍ صدقٍ مِن غير تلبُّسٍ، مُصفًّى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين.

تمَّ كلام السيّد الجليل قُطب الوقت إمام الزمان ﷺ، وقد كتبناه بتلخيصٍ منَّا، فارجع إلى كتابه: "فتوح الغيب" إن كنتَ من المرتابين. وقد ظهر من كلام الإمام الموصوف أن الوحي كما ينزل على الأنبياء كذلك ينزل على الأولياء، ولا فرْق في نزول الوحي بين أن يكون إلى نبيٍّ أو وليّ، ولكلٍّ حظٌّ من مكالمات الله تعالى ومخاطباته على حسب المدارج. نعم.. لوحي الأنبياء شأنٌ أتمّ وأكمل. وأقوى أقسامِ الوحي وحيُ رسولنا خاتم النبيين.

وقال المجدّد الإمام السرهندي الشيخ أحمد - ﷺ - في مكتوب يكتب فيه بعض الوصايا إلى مريده محمد صدّيق:

اعلم أيها الصديق، أن كلامه سبحانه مع البشر قد يكون شفاهًا، وذلك لأفرادٍ من الأنبياء، وقد يكون ذلك لبعض الكُمَّلِ مِن متابعيهم، وإذا كثُر هذا القسم من الكلام مع واحد منهم يُسمّى مُحَدَّثًا، وهذا غير الإلهام وغير الإلقاء في الروع وغير الكلام الذي مع الملَك، إنما يُخاطَب بهذا الكلام الإنسانُ الكامل، والله يختص برحمته من يشاء.

تمَّ كلامه، فارجعْ إلى كلامه إن كنت من المنكرين.

واذكُرْ قصة من قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [3]، وما كان من المرسلين.

واذكُرْ ما قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا﴾ [4]

فانظُرْ كيف كلَّم مَلَكُ الله مريمَ وما كانت نبيّةً، فاتّقِ الله ولا تكن من المعتدين.

والسلاطينُ." وقال: "إني مُهينٌ مَن أراد إهانتَك، وإنّا كفيناك المستهزئين. يا أحمدُ، بارَكَ اللهُ فيك، ما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى، لتُنذِرَ قومًا ما أُنذِرَ آباؤهم ولِتستبينَ سبيل المجرمين. قُلْ إني أُمِرتُ وأنا أوّلُ المؤمنين. قُلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. كلُّ بركة مِن محمد ﷺ، فتَبارَكَ مَن علَّم وتعلَّمَ. وقل إنِ افتريتُه فعليّ إجرامي، ويمكُرون ويمكُر الله والله خير الماكرين. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهِرهِ على الدين كله. لا مبدِّلَ لكلمات الله. إني معك، فكُنْ معي أينما كنتُ. كُنْ مع الله حيثما كنتَ. أينما تُولّوا فثَمَّ وجهُ الله. كنتم خيرَ أُمّة أُخْرجتْ للناس وفخرًا للمؤمنين. ولا تيأَسْ مِن رَوح الله. ألا إن روح الله قريب. ألا إن نصر الله قريب. يأتيك مِن كلّ فَجٍّ عميقٍ. ينصرك اللهُ مِن عنده. ينصرك رجالٌ نوحي إليهم من السماء. لا مبدِّلَ لكلمات الله، وإنك اليوم لدينا مَكينٌ أمين. وقالوا إنْ هذا إلا اختلاق. قُل الله ثم ذَرْهم في خوضهم يلعبون. ومَن أظلم ممن

وقد جاء في الحديث الصحيح عن عمرو بن الحارث قال: بينما عمرُ يخطب يوم الجمعة إذا ترك الخُطبة ونادى يا ساريةُ الجبل مرتين أو ثلاثا، ثم أقبلَ على خطبته. فقال ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: إنه لمجنون.. ترَك خطبة ونادى "يا ساريةُ الجبلَ". فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال: يا أمير المؤمنين! تجعل للناس عليك مقالا؟ بينما أنت في خطبتك إذ ناديتَ: "يا ساريةُ الجبلَ". أيُّ شيء هذا؟ قال: والله، ما ملكتُ ذلك حين رأيتُ ساريةَ وأصحابه يقاتلون عند جبل ويُؤتَون مِن بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملِكْ أن قلتُ: "يا ساريةُ الجبلَ"، ليلحقوا بالجبل. فلم تمض الأيام حتى جاء رسولُ سارية بكتابه أن القوم لقُونا يوم الجمعة، فقاتلناهم مِن حين صلّينا الصبح إلى أن حضرت الجمعةُ، فسمعنا صوتَ منادٍ يُنادي: الجبلَ مرتين، فلحقنا بالجبل.. فلم نزل لعدوّنا قاهرين حتى هزمهم الله تعالى وتراءى فتح مبين. (المؤلف)

---

❶ القصص: ٨ ❷ الواقعة: ٤٠-٤١ ❸ الكهف: ٨٣ ❹ مريم: ١٨-٢٠

افترى على الله كذبا. وإنّ عليك رحمتي في الدنيا والدين، وإنك لمن المنصورين. بشرى لك يا أحمدي، أنت مرادي ومعي، غرَستُ كرامتك بيدي. أكان للناس عجبًا، قُلْ هو الله عجيب. يجتبي من يشاء من عباده، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وإذا نصر الله المؤمنَ جعَل له الحاسدين. تَلطَّفْ بالناس وتَرحَّمْ عليهم، أنت فيهم بمنزلة موسى، فاصبر على جور الجائرين. أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون. الفتنة هنا فاصبر كما صبر أولوا العزم. ألا إنها فتنة من الله ليحبّ حبًّا جَمًّا. وفي الله أجرك، ويرضى عنك ربك، ويتم اسمك. وإن يتخذونك إلا هُزوًا، قل: إني من الصادقين، فانتظِروا آياتي حتى حين. الحمد لله الذي جعَلك المسيحَ ابن مريم. قل هذا فضل ربي وإني أجرّد نفسي من ضروب الخطاب، وإني أحد من المسلمين. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم واللهُ يُتمّ نوره ويحيي الدين. نريد أن نُنزِل عليك آيات من السماء ونمزّق الأعداء كل ممزَّق. حُكم اللهِ الرحمن لخليفة الله السلطان. فتوكّل على الله واصنَعِ الفُلْكَ بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم، وأممٌ حَقَّ عليهم العذاب. ويمكرون والله خير الماكرين. قُلْ عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مسلمون. إن معي ربي سيهدين. رب أَرِني كيف تحيي الموتى. رب اغفر وارحم من السماء. رب لا تذَرْني فردا وأنت خير الوارثين. رب أَصْلِحْ أمّة محمد. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. ويخوّفونك مِن دونه، إنك بأعيننا. سمّيتُك المتوكّل. يحمدك الله مِن عرشه. نحمدك ونصلّي. يا أحمد، يتمّ اسمك ولا يتمّ اسمي. كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل وكن من الصالحين الصدّيقين. أنا اخترتُك وألقيت عليك محبّة مني. خذوا التوحيدَ التوحيدَ يا أبناء الفارس. وبَشِّرِ الذين آمنوا أن لهم قدمَ

صدقٍ عند ربهم. ولا تصعِّرْ لخَلْقِ الله ولا تسأَمْ من الناس، واخفِضْ جناحك للمسلمين. أصحاب الصفّةِ، وما أدراك ما أصحاب الصفّة؟ ترى أعينَهم تفيض من الدمع، يصلّون عليك ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. شأنك عجيب، وأجرك قريب، ومعك جند السماوات والأرضين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تُعانَ وتُعرَف بين الناس. بوركت يا أحمد، وكان ما بارك الله فيك حقًّا فيك. أنت وجيهٌ في حضرتي. اخترتُك لنفسي، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق. وما كان الله ليتركك حتى يمِيز الخبيثَ من الطيّب. انظُرْ إلى يوسف وإقباله، واللهُ غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أردتُ أن أَستخلِفَ فخلقتُ آدمَ ليقيم الشريعة ويحيي الدين. كتاب الوليّ ذو الفقار علي، ولو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجل من أبناء الفارس. يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسْه نار. جَرِيُّ اللهِ في حُلل المرسلين. قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله. وصلِّ على محمد وآل محمد سيِّدِ وُلْدِ آدم وخاتَمِ النبيين. يرحمك ربك ويعصمك من عنده وإن لم يعصمك الناس. يعصمك الله مِن عنده وإن لم يعصمك أحد من أهل الأرضين. تبّتْ يدا أبي لهب وتبّ، ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفا. وما أصابك فمن الله، واعلم أن العاقبة للمتقين. وأَنذِرْ عشيرتك الأقربين، إنا سنُريهم آية من آياتنا في الثيِّبة ونردّها إليك، أمرٌ من لدنا إنا كنا فاعلين. إنهم كانوا يكذّبون بآياتي وكانوا بي من المستهزئين. فبشرى لك في النكاح، الحقُّ من ربك فلا تكوننّ من الممترين. إنا زوّجْناكَها، لا مبدِّلَ لكلمات الله، وإنا رادُّوها إليك، إن ربك فعّالٌ لما يريد، فضلٌ من لدنا ليكون آية للناظرين. شاتانِ تُذبَحان، وكل من عليها فان. ونريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ونريهم جزاء الفاسقين. إذا جاء نصر الله والفتح، وانتهى أمر الزمان إلينا، أليس هذا بالحق، بل الذين

كفروا في ضلال مبين. كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببتُ أن أُعرَف. إن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقْناهما. قل إنما أنا بشرٌ يوحى إليّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ، والخير كله في القرآن، لا يمسّه إلا المطهَّرون. ولقد لبثتُ فيكم عمرًا مِن قبله أفلا تعقلون. قل إن هدى الله هو الهدى، وإن معي ربي سيهدين. رب اغفر وارحم من السماء. رب إني مغلوب فانتصِرْ. إيلي إيلي لما سبقتاني. يا عبد القادر، إني معك، أسمع وأرى. غرستُ لك بيدي رحمتي وقدرتي، وإنك اليوم لدينا مَكينٌ أمين. أنا بُدُّك اللازم، أنا محييك، نفختُ فيك من لدني روحَ الصدق. وألقيت عليك محبة مني ولتُصنَع على عيني كزرعٍ أخرجَ شَطْأَه فآزَرَه فاستغلظ فاستوى على سوقه. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخر، فكنْ من الشاكرين. أليس الله بكاف عبده. أليس الله عليما بالشاكرين. فقبِل الله عبدَه وبرّأه مما قالوا وكان عند الله وجيها. فلما تجلى ربه للجبل جعله دَكًّا، والله مُوهِنُ كيد الكافرين. ولنجعله آية للناس ورحمة منا ولنعطيه مجدًا من لدنا كذلك نجزي المحسنين. أنت معي وأنا معك. سرُّك سرّي. لا تحاط أسرار الأولياء، إنك على حق مبين. وجيهًا في الدنيا والآخرة ومن المقربين. لا يصدِّق السفيه إلا ضربة الإهلاك. عدوٌّ لي وعدو لك، عجلٌ جسدٌ له خُوار. قل أتى أمر الله فلا تكن من المستعجلين. يأتيك قمرُ الأنبياء وأمرُك يتأتّى، وكان حقا علينا نصر المؤمنين.* يوم يجيء الحق وينكشف الصدق ويخسر الخاسرون. وترى الغافلين يخرّون على المساجد، ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. تموت وأنا راض منك. سلام عليكم طِبتم فادخلوها آمنين."

---

* *قد أُشير في الأصل إلى تاريخ هذا الإلهام حيث كُتب تحت هذه الجملة بخط صغير:* ٣٠ جولاي سنة ١٨٩٣م. *(الناشر)*

وأمّا عقائدنا التي ثبّتنا الله عليها، فاعلم يا أخي أنّا آمنّا بالله ربًّا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا، وآمنّا بأنه خاتم النبيين. وآمنَّا بالفرقان أنه من الله الرحمن، ولا نقبل كل ما يُعارض الفرقان ويُخالف بيّناته ومُحكماته وقصصه ولو كان أمرًا عقليًّا، أو كان من الآثار التي سمّاها أهلُ الحديثِ حديثًا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين؛ لأن الفرقان الكريم كتابٌ قد ثبت تواترُه لفظًا لفظًا، وهو وَحْيٌ مَتلُوٌّ قطعيّ يقينيّ، ومَن شكّ في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامّة، وله مرتبة فوق مرتبة كل كتاب وكل وحي، ما مسَّه أيدي الناس، وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقام، ومَن آثرَ غيره عليه فقد آثرَ الشك على اليقين.

وكم مِن فِرق الإسلام يُخالف بعضهم بعضا في أخذ بعض الأحاديث أو تركها، فالأحاديث التي يقبلها الشافعية لا يقبل أكثرها الحنفيةُ، والتي يقبلها الحنفية لا يقبلها الشافعية، وكذلك حال فِرق أُخرى من المسلمين. وكم من حديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه.. وهو أصحُّ الكتب عند أهل الحديث بعد كتاب الله.. ولكن لا يقبل الفرقة الحنفية أكثر أحاديثه، كحديث قراءة الفاتحة خلف الإمام والتأمينِ بالجَهر وغيره، ولا يكونون إلى تلك الأحاديث من الملتفتين. ولكن ما كان لأحد أن يسمّيهم كافرين أو يحسبهم من الذين أضاعوا الصلاة ومن المبتدعين.

فالحق أن الأحاديث أكثرها آحادٌ ولو كانت في البخاري أو في غيره، ولا يجب قبولها إلا بعدَ التحقيق والتنقيد وشهادةِ كتاب الله بأن لا

يُخالفها في بيّناته ومُحكماته، وبعدَ النظرِ إلى تعامُل القوم وعِدّة العاملين. فإذا كان الأمر كذلك فكيف يُكفَّرُ أحدٌ لترك حديثٍ يعارِض القرآنَ أو لأجل تأويلٍ يجعل الحديث مطابقًا بالقرآن ويُنجّي المسلمين من أيدي المعترضين؟ وكيف تكفِّرون المؤمن بالله ورسوله وكتابه لأجل حديث من الآحاد الذي يُحتمل فيه شائبة كذب الكاذبين؟

فانظر مثلا إلى مسألة وفاة المسيح عليه السلام، فإنها قد ثبت ببيّنات كتاب الله المتواتر الصحيح، وتشهد على وفاته قريبًا من ثلاثين آية بالتصريح قد كتبناها في كتابنا: "إزالة الأوهام" إفادةً للطالبين. فإن تذكرتَ بعد ذلك حديثًا دمشقيًّا الذي ذُكر في "مسلم"، فاعلم أنه فُسّر على ظاهره، ولا شك أنه يُعارض الفرقان على تفسيره الظاهر ويُخالف بيّناته ويخالف أحاديث أُخرى قد ذكرناها في "الإزالة"، ولا يرضى مسلم أن يترك القرآن اليقيني القطعي بحديث واحد لا يبلغ إلى مرتبة اليقين. ولو فعلنا كذلك وآثرنا الآحاد على كتاب الله لفسد الدين، وبطلت الملة، ورُفع الأمان، وتزلزل الإيمان، واشتد علينا صولة الكافرين. نعم.. نؤمن بالقدر المشترك الذي لا يُخالف القرآن، وهو أنه يجيء المسيح الموعود مجدّدًا على رأس المائة عند غلبة النصارى على ظهر الأرض، ويخرج في أرض أفسدوها وجعلوا مسلمي أهلها متنصّرين، فيكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ويُدخل السعادة في الباقين.

وإن حاكَ في صدرك شيء من لفظ نزولٍ عند منارة دمشق، فقد أثبتنا أن النزول من السماء مُحال باطل لا يصدّقه الفرقان بل يكذّبه

بقول مبين. فإن كنت تؤمن بالفرقان وتؤثره على غيره، فآمِنْ بوفاة المسيح وعدم نزوله من السماء، كما تقرأ في كلام رب العالمين. والعجب أن لفظ النزول من السماء لا يوجد في حديثٍ وإن هو إلا فِرْية المفترين. والأحاديث كلها قد اتفقت على أن المسيح الموعود من هذه الأمة، فإن النبوة قد خُتِمَت وإن رسولنا خاتم النبيين.

والنزول في الحديث بمعنى نزول المسافر من مكان إلى مكان، فإن النَزيل هو المسافر، فلو سلم صحة الحديث فيثبت أن المسيح الموعود أو أحدٌ من خلفائه يسافر من أرض وينزل بدمشق في وقتٍ من الأوقات، فلم يبكون الناس على لفظ دمشق؟ بل يثبت من لفظ النزول عند منارة دمشق أن وطن المسيح الموعود الذي يخرج فيه هو مُلكٌ آخر، وإنما ينزل بدمشق بطريق المسافرين. هذا إذا سلّمنا الحديث بألفاظه، وفيه كلام.. لأن الأحاديث من الظنيات إلا الحصة التي ثبتت من تعامل المؤمنين.

ولو كانت الآثار المدونة في البخاري وغيره من اليقينيات كالقرآن الكريم للزم مِن إنكارها الكفرُ كلزوم الكفر من إنكار آيات القرآن كما لا يخفى على الماهرين في الشرع المتين. فحينئذٍ يلزم أن يكون المسلمون كلهم كافرين، ويلزم أن لا ينجو من ورطة الكفر أحد من أكابر المسلمين وأصاغرهم بل من الأئمة السابقين المتقدمين؛ لأن ترك بعض الأحاديث وإنكار بعضها بلاءٌ عام أحاطت الفقهاء والأئمة والمحدثين أجمعين.

ومع ذلك.. إذا كان نبيّنا ﷺ خاتم الأنبياء، فلا شك أنه مَن آمنَ بنزول المسيح الذي هو نبي من بني إسرائيل فقد كفَر بخاتم النبيين. فيا

حسرة على قومٍ يقولون إن المسيح عيسى بن مريم نازلٌ بعد وفاة رسول الله، ويقولون إنه يجيء وينسخ من بعض أحكام الفرقان ويزيد عليها، وينزل عليه الوحي أربعين سنة، وهو خاتم المرسلين. وقد قال رسول الله ﷺ: "لا نبي بعدي"، وسمّاه الله تعالى خاتم الأنبياء، فمِن أين يظهر نبي بعده؟ ألا تتفكرون يا معشر المسلمين؟ تتبعون الأوهام ظلما وزورًا، وتتخذون القرآن مهجورًا، وصرتم من البطّالين.

وإنَّا نؤمن بملائكة الله ومقاماتهم وصفوفهم، ونؤمن أن نزولهم كنزول الأنوار، لا كترحُّل الإنسان من الديار إلى الديار، لا يبرحون مقاماتهم ومع ذلك كانوا نازلين وصاعدين. وهم جند الله وجِيرةُ السماوات وخلطاؤها، لا يُفارقون مقاماتهم، وإنْ منهم إلا له مقام معلوم، يفعلون ما يؤمرون، ولا يشغلهم شأن عن شأن ويؤدّون طاعة رب العالمين.

ولو كان مدار انصرام مهماتهم.. تباعُدَهم من مقاماتهم.. لما جاز أن تُتوفَّ الأنفس في آنٍ واحد، بل وجب أن لا يموت ميّت في المشرق في الآن الذي قدّر الله له قبل أن يفرغ مَلَكُ الموت مِن قبض نفس رجلٍ في المغرب الذي هو شريك بالمائت الأوّل في الآن المذكور وقبل أن يرحل إلى المشرق، وإنْ هذا إلا كذب مبين. إنما أمرهم إذا أرادوا شيئا بِحُكْمِ الله أن يقولوا له كن فيكون، وما كان لهم أن ينزلوا بشِقّ الأنفس وصرف الوقت ونقل الخطوات وتركِ مكان كسكّان الأرضين.

ونؤمن بأن حشر الأجساد حق، والجنة حق، والنار حق، وكل ما

جاء في القرآن حق، وكلّ ما علّمَنا رسول الله ﷺ حق، وهو خير الأنبياء وختم المرسلين. ومن عزا إلينا ما يُخالف الشرع والفرقان مثقال ذرة فقد افترى علينا وأتى ببهتان صريح كالمفترين. ألا إنّا بريئون من كل أمرٍ يُنافي قول رسولنا ﷺ، وإنّا مؤمنون بجميع أمورٍ أخبر بها سيّدنا ونبيُّنا، وإن لم نعلم حقيقتها أو نُودَع معارفها بإلهام مبين.

وإنّا بريئون من كل حقيقة لا يشهدها الشرع، واعتصمنا بحبل الله بجميع قلبنا، وجميع قوتنا، وجميع فهمنا، وأسلمنا الوجهَ لك ربَّنا فاجعلْنا من المحسنين. ربنا أفرِغْ علينا صبرًا على ما نُؤذَى وتوفَّنا مسلمين.

وما أُفضِّلُ روحي على أرواح إخواني، ولكن الله قد منَّ عليَّ وجعلني من المنعمين. فمن آلائه أنه أنعم عليَّ بالمكالمات والمخاطبات، وعلّمني من أسرارٍ ما كنت أن أعلمها لو لا أن يعلّمني الله، وجعلني للأنبياء من الوارثين.

ومِن آلائه عليَّ أنه وجد قوم النصارى يفسدون في الأرض ويتّخذون العبد إلهًا بغير الحق، ويُضلّون عباد الله، فبعثني لأكسر صليبهم وأمزّق بعيدهم وقريبهم وأَجُذّ هامَ المجرمين.

ومن آلائه أنه آتاني آياتٍ من السماء، وأتمّ الحجّة على الأعداء، وخجَّل كل بخيل وضنين. فوعَزّتِه وجلالِه إني على حق مبين. وترى كالوابل آياتِ صدقي إن تصاحبني كالطالبين. ووالله.. ثم تالله.. إن جاءني أحد على قدم الصدق والطلب، لرأى شيئا من آيات ربي إلى أربعين. وأكفَرَني الحسداء قبل أن يباروني للنضال، ويتوازنوا في الكمال، ويتحاذوا في الفعال، وعيّروني طاغين. ولما رأوا الآيات قالوا إنْ هذا إلا

سحرٌ مبين أو جَفْرٌ ونجومٌ، فمشوا خبطَ عشواءَ، وكانوا قومًا عمين. أشرقت الشمس وما كان معها غيمٌ، ولكن لا ينفع العُمْيَ نورٌ ولا ضوء، واستخلصهم الشيطان لنفسه، فهو لهم قرين.

يا أخي، تحسبني كافرًا، وإني مؤمنٌ موحِّدٌ، أتبع رسولي وسيدي ﷺ، وجعلني الله وارثًا لعلومه وباعِه وبَعاعِه، وأرجو أن يشيّع نعشي في اتّباعه، ومع ذلك أخضع لك بالكلام وأستنزل منك رفق الكرام، فلا تغلُظْ عليَّ ولا تُشمِتْ بي الكُفّارَ، ولا تُرِني النارَ، ولا تسلُلْ سيفك البتّارَ، والمؤمن هَيْنٌ لَيْنٌ، والصالحون يحملون أوزار إخوانهم، ويسارعون إلى تسلية قلوبهم، وتسرية كروبهم، ولا يريدون أن يقتلوهم تقتيلاً، وأن يجعلوهم عضين.

والاختلاف في فِرق الإسلام كثيرة، ولكن لا تنهضُ فرقة لقتل فرقة، وقد قال رسول الله ﷺ: إن اختلاف أمّتي رحمة. فأَطْفِئْ يا أخي نارَك، وأَغْمِدْ بتّارَك، واقتدِ بسنن الصالحين. لِمَ تؤذي من يحبُّ خير الورى؟ أَتَسُرُّ به روحَ المصطفى؟ أو تُرضي به ربَّنا الأعلى؟ فاعلم أن الله ورسوله بريّانِ من الذين يُعادون أولياءهما، فإن كنت ترجو شفاعة رسولنا فلا تؤذ المحبّين المصافين، واتق الله، ثم اتق الله، ثم اتق الله، ليغفر ذنوبك ويُحِلَّك مقعد المنعَمين.

أيها الإنسان الضعيف المحتاج، إن مَقْتَ الله أكبر من مقتك، فخَفْ فأسه وكن من المرتعشين.

هَدَاك الله هَل قَتْلي يُباحُ وهَل مِثْلي يُدمَّرُ أو يُجاحُ
وهل في مذهب الإسلام أني أرى خزيًا ولم يَثبُتْ جُناحُ
وصدقي بَيّنٌ للناظرينا كتابُ الله يشهدُ والصِّحاحُ
وما كان الأذى خُلقَ الكرامِ ولكن هكذا هبّتْ رياحُ
وإنّ الحُرَّ يفهم قولَ حُرٍّ وتشفي صدرَه الكَلِمُ الفِصَاحُ
ولا أخشى العدا في سُبل ربي وأرض الله واسعة بَدَاحُ
لنا عند المصائب يا حبيبي رضاءٌ ثم ذوقٌ وارتياحُ
فلا تقفُ الهوى وانظُرْ مآلي وربّي إنّه نُصحٌ قَراحُ
ومِن عجب، أُشرّفكم وأدعو ومنك المِشْرفيّةُ والرِّماحُ
وبَلْدتُكم حديقةُ كلّ خيرٍ فمنكم سيّدي يُرجى الصلاحُ
كمثلك سيّدٌ يؤذينِ، عجبٌ! وفي بغدادَ خيراتٌ كِفاحُ
أرى يا حِبِّ تذكُرني بسبٍّ فما هذا؟ وسِيرتكم سماحُ
أخذْنا كلَّ ما أعطيتَ تحفًا وصافينا وزاد الاِنشراحُ
فخُذْ مني جوابي كالهدايا ولكن كان منك الاِفتتاحُ
إذا اعتلقَتْ أظافيري بخصمٍ فمرجِعهُ نَكالٌ أو طُلاحُ
وإنْ وافيتني حبًّا وسلمًا فلِلزُّوّارِ بُشرى والنجاحُ
وإن لم تقرَبَنْ أنهارَ ماءٍ فلا تعطيك مِن ماءٍ رياحُ
ورشحُ الصلد سهلٌ عند جهدٍ ويوبقكم قُعودٌ وانسطاحُ

وما نألوك نصحًا يا حَبِيبِي … وجاهَدْنا ليرتبط النِّصاحُ
ونُصحي خالص لا نوعَ هزلٍ … وجِدٌّ لا يخالِطُه المِزاحُ
فيا حِبِّي تَفكَّرْ في كلامي … فإن الفكر للتقوى وِشاحُ
ولي وجدٌ لقومي فوق وجدٍ … وما وجدُ الثواكل والنِّياحُ
إليكم يا أولي مجدٍ إليكمْ … وإن لم تنتهوا فالوقت لاحُ
ولي قدرٌ عظيم عند ربِّي … وسُؤلي لا يُرَدُّ ولا يُزاحُ
ومثلي حين يبكي في دعاءٍ … فيسعى نحوه فضلٌ مُتاحُ
وكادت تلمَعَنْ أنوارُ شمسي … فيَتْبَعها الورى إلا الوَقاحُ
ويأتي يومُ ربِّي مِثلَ بَرْقٍ … فلا تبقى الكِلابُ ولا النُباحُ
ولي مِن لُطف ربي كل يومٍ … مراتبُ للعدا فيها افتضاحُ
ونورٌ كامل كالبدر تامٌ … ووجهٌ يستنير ولا يُلاحُ
ونحن اليوم نُسقَى مِن غَبوقٍ … وبعد الليل عيدٌ واصطباحُ
وأعطاني المهيمن كل نورٍ … ولي مِن فضله رَوحٌ وراحُ
أتقتلني بغير ثبوت جرمٍ … فقُلْ ما يصدُرَنْ مني جُناحُ؟
قتلنا الكافرين بسيف حُججٍ … فلا يُرجى لقاتِلنا فلاحُ
وليس لنا سوى الباري ملاذٌ … ولا تُرْسٌ يصون ولا السِّلاحُ
أتعلم كيف يَسفَعُ بالنواصي … مليكٌ لا يناوحه الطِّماحُ
يَهُدُّ الربّ ذروةَ كلّ طَودٍ … وتتبَعه الأسنّة والصِّفاحُ

أتقتلني بسيف يا خصيمي؟ وقتلي عندكم أمرٌ مُباحُ
وقد مِتْنا بسيف من حبيبٍ على ذرّاتنا تسفي الرِّياحُ
وأَيْن سيوفكم يا شيخَ قومٍ وحلَّ بقاعكم حزبٌ شِحاحُ
وصال الحزب واختلسوا كذئبٍ ولم يكُ أمرهم إلا اكتساحُ
وقد صُبّتْ عليكم كلُّ رُزْءٍ فما في بيتكم إلا الرَّداحُ
وكم مِن مسلمٍ ذَابُوا بجوعٍ وعاشوا جائعين وما استراحوا
وبحر العلم يعرِف موج بحري ولكن عندكم ماءٌ وَجاحُ
نظمت قصيدتي من ارتجالٍ وأين الفضل لولا الاِقتراحُ
فخُذْ مني بعفوٍ كالكرامِ ودونك ما هو الحقّ الصُّراحُ
وإن بارزتني من بعد نُصحي فتعلم أنني بطلٌ شَناحُ

يا أخي.. حفظك الله! إني قد كتبت هذا المكتوب، ترحّمًا على حالك، وإصلاحًا لخيالك، فاستشِفَّ لآلِيَه، وَالْمَحِ السرّ المودَع فيه، وقد أسمع أن أخلاقك تُحَبُّ، وبِعَقْوَتِك يُلَبُّ، وأنت باذلٌ خِرْقٌ ذو سماحةٍ وفتوّة من المحسنين. فلا أظن فيك أن تَرِدَ موردَ مأثمة، وتَقِفَ موقفَ مندمة، وتتَّبِعَ سبلَ تبعةٍ ومعتبةٍ، بل أظن أن تميل إلى معذرةٍ عن بادرة. وظني فيك جليل، فحَقِّقْ حسن ظني، واتق الله إني أراك مِن وُلْدِ الصالحين.

وإن كنت في شك مما كتبنا في كُتُبِنا، فأيُّ حرج عليك من أن تسألني كل ما لا تعرف حقيقته، ولا تفهم ماهيته، وعسى أن تحسب كلمةً من الكفر وهو من معارف كتاب الله وحقائق الدين. والعاقل يتأهّب دائما لمزايلة مركزه عند وجدان الحق المبين. فقُمْ وأَفْعِم لك سَجْلاً من مائنا المِعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.